ويا وطني الذي أعرف الطريق اليك ولا أعرفك . من ربع قرن وأنا ذاهب اليك عبر الجملة العربية الرسمية ، وغريب عنها وعنك . أعجبتهم وردتي ، وحاولوا أن يسرقوا بندقيتي ، فأطلقت النار على الهواء ، فأصبت الوردة ، فاتهموني بمحاولة الانتحار . . وساقوني الى المحاكمة . فهل أصمت كي أقترب منك ، أم أدافع عنك وعني بالجملة العربية اياها ؟

[٢]

انتهت حفلة الميلاد . ليس للمدينة المقدسة ذاكرة منتظمة . أمطرت السماء ماء وغزاة . وكان الجندي الجديد يتنزه في حارات التاريخ المفتوحة مع صديقته القديمة ويقول « اذا نسيتك يا حبيبتي تنساني ذراعي » . وقد نسي ذراعه في صدرها ، فنبهته الى الخيانة « تحب اورشليم أكثر مني ! » . ضحكا وتابعا النزهة . كانا يستعيدان ذكريات عن الحرب الاخيرة ويندهشان من امكانية الحياة بدون القدس ، ويروي لها بطولة لم يمارسها . .

ابتاعا فلافل من بائع عربي صار يتقن اللغة العبرية بلثغة بولندية .

« اعتادوا علينا . هل تعرفين ان الزمن ضابط في جيش الدفاع الاسرائيلي ، يترقى عاما بعد عام ؟ » خلعت حذاءها ومشت حافية . « تريدين أن أثبت لك ذلك ؟ » اشترى صحيفة من بائع عربي يروج للطبعة الجديدة من صحيفة المساء بلغة عبرية سليمة .

« للقهوة العربية مذاق لاذع . كيف تكون حياتنا بدون هؤلاء السكان . . كيف ؟. هل تتصورين ان بمقدورنا المحافظة على وحدتنا القومية اذا كنا نعيش وحدنا ؟ »

دخلا مسجد الصخرة ، وتبادلا قبلة على مرأى من الاسطورة « لتشهد الاسطورة على أن شعب اسرائيل حي » . شعرا بالندم لانهما ، قبل سبع سنوات ، تبادلا قبلة هنا للذكرى بإحساس السائح الذي لن يعود . وها هما يعودان كل سنة . « هذه القبلة ليست للذكرى ، بل هي لاستفزاز الاسطورة » .

كانت السماء تمطر . السماء تمطر دائما في أعياد الميلاد . راقه ان يجري مقارنة — على الطبيعة — بين بوله والمطر ، فانتحى زاوية وعاد يحدثها عن فارق طفيف في اللون . « للعرب طباع حميدة أهمها الكرم والنسيان » . ردت بلا اكتراث : « لا أحبهم » . اكتشف برهانا جديدا : « لولاهم ما كنت عرفتك وأحببتك . ولكي يستمر حبنا ويثمر لا بد من وجود عرب » . تذكرا خلافاتهما القديمة عندما كانا يدرسان في كلية الاداب ، ولكن المساء أغراهما بالعناق فقبلها ، وتابع : « انهم جوهر وحدتنا . أنا من وارسو وأنت من بغداد . الذي صنع اليهودي هو التحدي وحاجته الى التماسك . فما هو محور تماسكنا . العرب هم تحدينا المشترك ، فاذا ذهبوا ذهبت وحدتنا ، وانتقل التحدي الى العلاقة بين القادم من وارسو والقادم من بغداد » . ذكرته بأنه سينام الليلة مبكرا ليبدو قويا ونشيطا في الاستعراض العسكري غدا .

في تلك اللحظة ، كان عمال التنظيف يكنسون الشوارع من آثار صلوات الاسبوع الماضي . كان المسيح يتراجع الى الوراء ، وكانت المدينة المقدسة تخون ذاكرتها وتفتح شوارعها لعيد الغزاة الجدد الذين كانوا ينشدون « يا أورشليم من ذهب » .